مجلة الوقاية والأرغنوميا، المجلد: 7، العدد:3، 2013، EISSN: 2676-2196 .ISSN: 1112-7546

التصدع الأسري وأثره في انتشار ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع الجزائري.

الدكتور كمال لدرع

أستاذ محاضر ورئيس قسم الفقه وأصوله، بجامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة –

توطئـة:

تقوم الأسرة بدور رئيسي في عملية غرس البعد الأخلاقي والاجتماعي للفرد، فهي الجماعة الأولى التي يرتبط بها بأوثق العلاقات، وهي التي تقوم بتشكيل سلوكه منذ مرحلة الطفولة، ويمتد هذا التأثير حتى يشمل كل الجوانب الشخصية. معلوم أن الإنسان يرتبط بثلاث حلقات رئيسية، تشده بحياته ووجوده ومستقبله هي:

أولا: العلاقات الشخصية في بيته، مع أبويه أو زوجته وأطفاله، ثم خارج البيت مع أصدقائه.
ثانياً: العلاقات الاجتماعية، بما فيها من مدرسة أو محل العمل، والوظيفة والمال والسمعة.
ثالثاً: الحياة الروحية أو العقائدية، التي قد ينتهي إليها الفرد، من دين أو مذهب أو فلسفة.
هذه الحلقات الثلاث في تجاذب وتنافر. أو اضطراب وتجانس مستمرين، يؤدي عند الناس إلى حالة التوازن، فإذا ما اختل توازنها، أو تناولها الاضطراب والتفكك، وحينئذ تنتاب الفرد موجات من القلق، وعدم الارتياح نغصت عليه حياته، وأربكت سير عمله اليومي، ونظرته إلى نفسه، أو إلى غيره أو إلى الحياة بأجمعها. وهنا يكمن سر الاضطراب في شخصية الفرد فيدفعه ذلك إلى الانحراف، كتناول المخدرات مثلا.

لقد انتشرت المخدرات في أوساط الشباب، حتى أن هناك من يقول أن المخدرات قد دخلت كل بيت، وهذا الرأي وإن كان فيه شيء من المبالغة، إلا أنه يعكس فداحة الجريمة التي تستهدف الأبناء، وإن كان ابنك، أو أي فرد من الأسرة لا يزال بمعزل عنها حتى الآن، فاعلم أن هناك من يتربص به من تجار ومروجي المخدرات، مستغلين ظروفه ومشاكله العائلية، والذين إن فشلوا في إغرائه للوقوع في مصيدة المخدرات، فسيحاولون الإيقاع به دون أن يعلم بحبة للصداع، وهي في الحقيقة مخدر، أو بتجربة مثيرة، وغير ذلك، وكثيرة هي الخدع التي يستخدمها التجار والمروجين لاصطياد أبنائنا ليكونوا بعد ذلك مدمنين يمتصون دماءهم

وأموالهم، لنجدهم بعد ذلك وقد أصبحوا غرباء عنا بعد أن سيطر عليهم تجار المخدرات. لا شك أنها مشكلة، ومن السهل حماية الابن أو أي فرد من هذا الدمار الذي يهدد حياته في أول الأمر، لكن قد تتفاقم مع مرور الوقت فيصعب معها العلاج، وتتعدى مخاطرها على الغير.

خطورة تناول المخدرات:

تحدث لدى متعاطي المخدرات تغيرات عضوية ونفسية، فتتولد في جسمه حاجة عضوية ونفسية إلى المادة المخدرة التي يتناولها، ويصير معتمداً عليها فلا يستطيع الاحتفاظ بتوازنه المعتاد بدونها. وهذا ما يجعل المدمن يندفع إلى تعاطي المخدر كلما نفدت مادته من جسمه فيتحول إلى مدمن[1]. ومما يزيد من خطورة المخدرات أن المدمن لا يستطيع التوقف الفجائي عن تعاطي المخدر، فهو لو فعل يظهر عليه اضطراب جسدي وفي بعض الحالات يصاحبه اضطراب عقلي، ومن الوجهة الطبية يعد المدمن مريضاً جسمياً ونفسياً، وهو في حاجة إلى مساعدة[2] . **ثم إن** تعاطي المخدرات والإدمان ليس سلوكاً شخصياً يقتصر أثره على صاحبه، بل هو كارثة تصل آثارها إلى المجتمع كافة، ومن أهم هذه الآثار:

– ضعف إنتاج الفرد وتغيبه عن العمل وزيادة طلب الإجازات المرضية[3].

– زيادة الجرائم الاجتماعية كالقتل والسرقة والهروب من المدارس والعنف داخل الأسرة وخارجها.

– عدم الأمان في الأسرة لكثرة تفتيش المنزل من جانب أجهزة الأمن وعدم قدرة عائل الأسرة على حمايتها إذا كان هو المدمن.[4].

وقد تنقل الظاهرة إلى أبنائه، فتؤدي بهم إلى:

- التأخر الدراسي.

---

[1] – حسن محمد الرودي، وأحمد عبده عوض، المخدرات بين الدين والطب، مركز الكتاب للنشر، ط 1، سنة 2000م، ص:27 وما بعدها – محمود زكي شمس، أساليب مكافحة المخدرات في الوطن العربي فقها – تشريعا – اجتهادا – قضاء، ط دمشق، ص:47– محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1412هـ/1992م، ص:78 وما بعدها.

[2] – حسن محمد الرودي، وأحمد عبده عوض، المخدرات بين الدين والطب، ، ص:27 وما بعدها – محمود زكي شمس، أساليب مكافحة المخدرات في الوطن العربي ، ص:443

[3] – – محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات، ص:106.

[4] –– محمد السيد أرناؤوط، المرجع نفسه، ص: 106.

- الانحراف.
- ولادة أطفال مشوهين إذا كانت الأم الحامل مدمنة.[5]
- التأثير على النواحي الصحية بصفة عامة للمتعاطي.[6]
- فقدان الأبناء للحب والحنان داخل الأسرة.

وأمام هذه الأخطار المحدقة بالمجتمع الجزائري، وبالشباب على وجه الخصوص، ورغم ما تقوم به الدولة عبر أجهزة الأمن والجمارك ووسائل الإعلام، وحجز كميات كبيرة من المخدرات، إلا أن خطورة المخدرات في بلادنا في تزايد مستمر، وفي انتشار كبير خاصة لدى فئة الشباب، مما يتطلب سياسة حازمة في هذا المجال لمحاربة هذه الآفة الخطيرة.

العوامل المختلفة لانتشار ظاهرة تعاطي المخدرات:

مشكلة تعاطي المخدرات والإدمان عليها مثلها مثل غيرها من المشكلات الاجتماعية وراءها عوامل اجتماعية عديدة هامة ومؤثرة تختلف من مجتمع إلى آخر، بل ومن فرد إلى فرد آخر، وعوامل تعاطي المخدرات وانتشارها ترجع إلى أحد الأسباب الآتية:

1 - تفكك العلاقات الأسرية.[7]

2 - تعاطي الأبوين أو أحدهما للمخدرات.

3 - تأثير جماعات الأصدقاء: أو رفاق السوء[8]، ولأن معظم المتعاطين في مرحلة المراهقة والشباب، وفي هذا السن يميل المرء إلى تقليد غيره ومحاولة إظهار القدرة على تجربة كل شيء حتى ولو كان في ذلك هلاكه، أو من باب إظهار رجولته، والبحث عن الذات ورغبة في نيل التقدير والاحترام من قبل الأصدقاء.[9]

---

[5] – – محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، ص:105.

[6] – حسن محمد الرودي، وأحمد عبده عوض، المخدرات بين الدين والطب، ، ص:27 وما بعدها – محمود زكي شمس، أساليب مكافحة المخدرات في الوطن العربي فقها – تشريعا – اجتهادا – قضاء، ص:50– محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، ، ص:112.

[7] – عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، بيروت، لبنان، ط 8، سنة 1405هـ/1985م، ج:1، ص:122 – محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، ص:76 وما بعدها.

[8] – وقد جاء في الحديث النبوي الشريف:" المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".

[9] – محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، ص:75و76. حسن محمد الرودي، وأحمد عبده عوض، المخدرات بين الدين والطب، ، ص:19 – عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، ج:1، ص:133.

4 - السلوك المنحرف للأولاد: الناتج عن سوء تنشئتهم سواء بالقسوة والشدة الزائدة أو بالتدليل الزائد عن الحد واختلاف طرق التربية بين الوالدين، مما يؤدي إلى خروج الأولاد عن دائرة الأسرة والهروب من ذلك العالم إلى عالم آخر لا توجد به مشاكل.

5 - وجود المخدر وانتشاره: مما يجعله في متناول الجميع.

6 - التدخين وشرب الخمر.

7 - وسائل الاتصال والإعلام: قد تؤدي أساليب وسائل الإعلام في تناول موضوع تعاطي المخدرات إلى نتائج عكسية، إذ تتعرض الأفلام مثلا لموضوع الإدمان وكيفية أخذ الإبر وحقن المخدر أو استنشاقه وما ينتاب المدمن بعدها من نشوة.. فكل هذا يؤثر على الشباب، ويعلمهم أساليب تعاطيها، فيتحول التحذير منها إلى ترغيبهم في تناولها بالطرق التي شاهدوها في الأفلام.[10]

8 - ضعف الوازع الديني: إذا غابت القيم الإسلامية ومراقبة الله عز وجل من حياة الإنسان فإنه ينقلب إلى شخص لا يبالي بأعراف ولا قوانين، ولا يهمه إذا فسدت نفسه أو مجتمعه، فهو لا يلتزم بتعاليم وأحكام الإسلام.

9 - المستوى الاجتماعي الاقتصادي: فالغنى الفاحش قد يدفع صاحبه إلى تناول المخدر نظرا للوسط الذي يخالطه، ومن أنواع المخدرات ما لا يتعاطاها إلا الأثرياء لارتفاع أثمانها، كالهيروين فثمنه مرتفع يقبل عليه الأثرياء، وقد يكون الفقر والاحتياج سببا في تعاطي المخدرات نتيجة الظروف القاسية التي يعانيها المحتاج خاصة إذا كانت له مسؤوليات أسرية، مع العلم أن هناك أنواعا من المخدرات رخيصة الثمن وفي متناول جميع الفئات كالبانجو وغيرها من المواد التي يمكن أن تستعمل كبديل عن المخدرات وهي خطيرة جدا على صحة الفرد.[11]

10 - بطء إجراءات أجهزة الضبط القضائي: حيث تأخذ إجراءات التقاضي وقتا أطول من اللازم، وقد لا يكون الحكم فيها رادعا للمجرم فيستمر عمله الإجرامي سواء في السجن أو بعد خروجه.

التفكك الأسري وعلاقته بالانحراف

يشير عدد من الدراسات الاجتماعية التي تناولت العلاقة بين الوضع الأسري لمن

[10] – عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، ج:1، ص:138.

[11] – حسن محمد الرودي، وأحمد عبده عوض، المخدرات بين الدين والطب، ص:19.

وقعوا في براثن المخدرات وبين التصدع الأسري، إلى أن كثيراً ممن تجاوبوا مع إغراءات المخدرات كانوا يعانون من عدم الاستقرار الأسري. مما يؤكد أن هناك علاقة وطيدة بين عدم الاستقرار الأسري والاستجابة للمخدرات.[12]

فلقد بينت الدراسات حول (انحراف الأحداث في الوطن العربي) أن (49%) من الأحداث المنحرفين الذين مارسوا فعلا منحرفا، وقدموا لمحاكم الأحداث وأصدرت بحقهم أحكام، كانوا يعيشون في أسر أواصرها مفككة. وقد اتضح أن (27 %) من هؤلاء تصدعت أسرهم لأسباب وظروف قهرية خارجة عن نطاق الأبوين، وتمثلت بوفاة أحد الوالدين أو كليهما. (25,6 %) كانوا ينتمون لأسر تصدعت بسبب الطلاق، و (23,6 %) ينحدرون من أسر غاب فيها أحد الوالدين، و (23,6 %) أيضا تصدعت أسرهم لأسباب أخرى متعددة.

وقد اتضح من نتائج الدراسة الميدانية التي أجريت على انحراف الأحداث الذكور في الوطن العربي، أن هناك علاقة بين نوعية التصدع ونوعية المخالفة، فالمنحرفون من أبناء الأسر التي تصدعت قهريا بوفاة أحد الوالدين أو كليهما، وخاصة تلك التي تصدعت بسبب وفاة الأم تمثلت انحرافاتهم بالآتي: لقد مارس (62,5 %) منهم مخالفات تتعلق بالسرقة تلتها على التوالي مخالفات التشرد، والمشاجرات التي تتسم بالعنف. أما المخالفات التي ارتكبها المنحرفون من أبناء الأسر المتصدعة بالطلاق فقد تبين أن (79%) منهم ارتكب مخالفات سرقة تلتها بنسب متساوية المخالفات الأخلاقية والقتل والتشرد، في حين أن (46%) من الأحداث المنحرفين المنحدرين من أسر تمزقت بسبب الغياب الدائم أو الطويل الأمد المتكرر لكلا الوالدين أو أحدهم وعلى وجه التحديد الأب، فقد تمثلت انحرافاتهم بهتك الأعراض واللواط والمخدرات.[13]

والدراسة السابقة ودراسات أخرى غيرها تؤكد بجلاء أن انهيار الروابط الأسرية أحدث أوضاعا غير طبيعية عانى الأطفال كثيراً من نتائجها، فقدوا الأمان والاستقرار والتوازن العاطفي والنفسي، إلى جانب حرمانهم إما من أب قدوة يهيئ لهم الموارد الضرورية لتنشئتهم وتعليمهم، ويغذي شخصياتهم بالقيم والمعاني والقوانين التي تعينهم على العيش في المجتمع، أو

[12] – محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، ص:74.

[13] - www. Aljazeera.net

من أم ترضعهم أسس المحبة والعطف والحنان، وبكل الأحوال يحرم الأطفال من تربية متزنة وتنشئة اجتماعية سليمة تعدهم لأن يمارسوا حياتهم بشكل طبيعي. وهذه الدراسات لواقع الأسر التي تعاني مشاكل متعددة لا تعني الحكم على كل الأبناء من تلك الأسر أن يكونوا منحرفين، فالكثير منهم نجح في حياته، ولكن من باب تتبع أسباب الانحراف.

مظاهر التفكك الأسري وأثره على الفرد:

وتدل معظم الدراسات بما لا يدع مجالاً للشك أن الشباب الذين يعيشون في أسرة مفككة يعانون من المشكلات العاطفية والاجتماعية بدرجة أكبر من الذين يعيشون في أسر سوية، وهذا التفكك الأسري بمختلف أنواعه ينعكس بآثار سلبية على أفراد الأسرة وبخاصة الأطفال، كما أن السلوك غير السوي لأحد الوالدين قد يؤثر سلبا على الطفل؛ ومن أهم هذه العوامل:

1 . مشكلة الطلاق:

إن الأسر التي يترعرع فيها متعاطو المخدرات تتميز بعدم الاستقرار في العلاقات الزوجية وارتفاع نسبة الهجر، ويعتبر الطلاق من العوامل المسببة للتصدع الأسري وجنوح الأطفال إلى الانحراف، لأن الطلاق معناه بالنسبة للحدث الحرمان من عطف أحد الوالدين أو كليهما، وكذا الحرمان من الرقابة والتوجيه والإرشاد السليم[14]. ومما يزيد الأمور سوءا زواج المطلقة بزوج آخر، فإن الأولاد في الغالب سيصيرون إلى التشرد والضياع، كما أن فقر الأم بعد الطلاق يؤثر على تربية الأولاد والعناية بهم[15]. إن الوالدين ينشغلان بالشقاق والمشاكل التي تقع بينهما في كل مرة فيهملان أولادهما، كما أن ما يقع بينهما من خصومات متكررة، وشجار يؤثر على نفسية الأطفال، فيؤدي بهم إلى تناول المخدرات والهروب من البيت. وقد يؤثر ذلك على أحد الزوجين . إذا كان ضعيف الشخصية . فيتعاطى المخدرات للهروب من الواقع المأسوي الذي يعانيه.

2 . السلوك المنحرف لأحد الوالدين:

إن الأب والأم هما قدوة لأبنائهما، وهما المعلم الأول الذي يأخذ عنه الطفل.

14 – معورة كال، مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص:85.

15 – عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، ج:1، ص:123.

فالأبناء إنما يتحركون ويتكلمون كما يتحرك آباؤهم ويتكلمون، وكلما كان الوالدان أكثر استقامة كان عامل وقاية الأبناء كبيرا، وكان خطر تعاطي الخمور والمخدرات قليلا أو معدوما، فمن خلال تحلي الأم والأب بالخلق والتدين السليم يحفظون أبناءهم من السلوك المنحرف ومن تعاطي المخدرات.

إن الأطفال يقلدون آباءهم وأمهاتهم في كل سلوكياتهم وأقوالهم وأفعالهم، إن من يدخن إنما يرسل رسالة إلى أبنائه بأن يفعلوا مثله مستقبلا ومن المتوقع جدا أن يدخنوا. كما أن الآباء الذين يستخدمون الحبوب المهدئة كلما كانت هناك مشكلة وبدون استشارة طبيب إنما يزرعون مفهوم إباحة استخدام المهدئات والمخدرات والخمور لدى أبنائهم.

ومن الخطأ أن يعتقد الوالدان أن أبناءهم سوف يتفهمون أن تعاطيهما للخمور أو المخدرات في المناسبات أمامهم هو للترفيه فقط، إن هذا التعاطي في الحقيقة رسالة توجه الطفل الصغير ـ الذي هو في سن مبكرة لا يفرق بين الصواب والخطأ ـ بأن يتعاطى المخدرات وأن أي نصيحة أو أمر أو توجيه لن يمنعه في المستقبل من الإدمان.

إن إدمان الأب للمخدرات له تأثير ملحوظ على تفكك الأسرة نتيجة ما تعانيه أسرة المدمن من الشقاق والخلافات لسوء العلاقة بين أفرد المدمن وبقية أفراد الأسرة. إن امتناع الآباء عن تعاطي الخمور والحشيش والمخدرات والتدخين، هو عامل أساسي في وقاية أبنائهم، قال تعالى:" وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله "[16]، إن عدم استخدام هذه المخدرات من قبل الأب والأم يعطيهم القدرة على إقناع الأبناء بعدم التورط في هذه المشكلة.

وقد بينت بعض الدراسات أن نسبة كبيرة من الأحداث قد تعرفوا على العقاقير المثيرة للنفس عن طريق تعاطي العقاقير الطبية التي يصفها الطبيب لأحد أفراد الأسرة أو التي يتعاطاها أحد الوالدين من تلقاء نفسه، ووجد أن الإسراف في استهلاك هذه العقاقير يشكل قاسماً من عادات الأسرة مما يؤدي إلى اكتساب الأبناء عادة تعاطي هذه العقاقير التي توقعهم بعدها في الإدمان. كما أن الخيانات الزوجية، وفساد أخلاق أحدهما، وعلم الأطفال بذلك يؤثر سلبا على نفسية الطفل.

[16] – سورة النساء، الآية :09.

3 . غياب رقابة الأسرة:

إن ضعف الرقابة الأسرية وبخاصة انعدام دور الأب، تحرم الأبناء من توجيه وإرشاد الوالدين، فيتوفر مناخ الانحراف لدى الشباب، فينفلتون من رقابة الوالدين، فلا شيء بعد ذلك يعيق إقدامهم على تناولهم للمخدرات، كما أنها . أي ضعف الرقابة الأسرية . تفسح المجال واسعا في احتكاكهم بالجماعات المنحرفة، لذا نجد أن تعاطي المخدرات ينتشر بين أوساط الشباب التي تكون رقابة الوالدين ضعيفة أو معدومة.[17]

4 . قلة عناية الوالدين بالأولاد:

إن حرمان الأطفال من حنان الوالدين، والظروف الصعبة التي يعيشونها في أسرهم تدفعهم إلى تعاطي المخدرات للحصول على البهجة والسرور، أو لنسيان همومهم وأحزانهم، وهذه الرغبة تزيد متى كان الإنسان لا يشعر بالسعادة في حياته. وهذا العامل لا نجده فقط ذا تأثير على الأولاد، بل إن كل فرد في العائلة إذا كان لا يشعر بالسعادة، فإنه يتعاطى المخدرات لنسيان مشاكله والبحث عن السعادة؛ فأحد الزوجين إذا كان يعيش في شقاق مستمر مع الطرف الآخر، فقد يدفعه ذلك إلى تناول المخدرات. وماذا ننتظر من أولاد لا يجدون عطف الأب ولا اهتمامه، ولا حنان الأم ولا عنايتها ومسئوليتها18. ومن أسباب قلة العناية بالأولاد: وفاة أحد الوالدين أو عمل الأم أو غياب الأب المتواصل عن المنزل. ويمكن تحديد مظاهر عدم العناية بالأطفال داخل الأسرة في العناصر الآتية:

1. عدم استجابة الوالدين لشكوى الطفل من الآلام أو المرض.
2. قلة كلام الوالدين مع أبنائهم.
3. عدم إتاحة فرص الضحك أو اللعب أو التفاعل بين أفراد الأسرة، بحيث يعيش الأطفال في عزلة.
4. قلة تفقد الوالدين لأحوال الأبناء، فلا يتابعونهم في دراستهم، ولا يشجعونهم عند النجاح، ولا يؤازرونهم عند الإخفاق.

5 . الدور السلبي للآباء في مواجهة تأثير المحيط على الأولاد:

[17] – عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج:1، ص:133.

[18] – عبد الله ناصح علوان، المرجع نفسه، ص:135.

إن أبناءنا غالبا ما يتعرضون للضغوط من قبل أصدقائهم، تلك الضغوط التي تهدف إلى خضوعهم لأحكام الجماعة حتى يكونوا مقبولين منها، إننا جميعا نهتم بنظرة الناس لنا ونسعى أن نكون مقبولين من الآخرين- وكلما اقترب الأبناء من سن الاستقلال أصبح ضغط الأصدقاء أقوى وازداد تأثير الأصدقاء على معتقداتهم وسلوكهم وطريقة لبسهم وحركاتهم، حتى يظهروا بمظهر الرجولة أو القوة، أو حتى لا يوصفوا بالتخلف، وتلك الضغوط قد تشجع على تعاطي الخمور والمخدرات. والأبناء في هذه السن يمرون بمرحلة النمو والبحث عن مبادئ للانتماء إليها، لذلك تجدهم يجارون من هم أكبر منهم سنا، ويؤدي ذلك إلى قبولهم لضغوط هؤلاء عليهم19. وبالتالي فغياب دور الوالدين في هذه المرحلة قد يعرض أبناءهم إلى انزلاقات خطيرة يصعب معها العلاج بعد ذلك.

6 . عدم وجود قنوات اتصال بين أفراد الأسرة:

إن الكثير من الأسر تعاني من اضطراب في علاقاتها، فتحتاج إلى إعادة تشكيل شبكة العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة. والأسرة هي مؤسسة اجتماعية صغيرة، فأي تغيير جذري في حياة أي فرد من أفرادها يؤثر على باقي أفراد الأسرة.

والملاحظ أن الكثير من الأسر الجزائرية . إن لم تكن أغلبها . تعاني فراغا عائليا في هذا الجانب، حيث ينعدم الحديث بين أفراد الأسرة، والجلسات الجماعية، وتناول الغذاء أو العشاء مع بعضهم البعض، مما يجعل الفرد في الأسرة يشعر بالكآبة والوحشة والعزلة، وهذا يولد فراغا في نفس الطفل أو لدى أي فرد من أفرادها، فيدفعهم ذلك إلى تعاطي المخدرات للبحث عن البهجة والسرور. ومن مظاهر الاضطراب في العلاقات الأسرية ما يلي:

1 . عدم وجود حوار بين أفراد الأسرة، سواء بين الزوجين فيما بينهما، أو بينهما وبين الأبناء، وكثيرا ما تعالج المشاكل العارضة في حياة الأسرة بالعنف والخشونة ورفع الصوت والشجار وما إلى ذلك.

2 . عدم الاستماع للأبناء والحديث معهم: يحتاج الأبناء من الآباء للاستماع إليهم وإعطائهم الانتباه الكامل للاستماع لأفكارهم ومعتقداتهم ووجهات نظرهم، والاستماع ليس مجرد

19 – حسن محمد الرودي، وأحمد عبده عوض، المخدرات بين الدين والطب، ، ص:19 – محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، ، ص:75و76 – عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج:1، ص:133.

الاتصال فقط بل الفهم لكل هذه الأفكار والحديث إليهم بمستوى فهمهم، بل وتحمل انفعالاتهم وغضبهم وعدائهم أحيانا بدون أن يؤدي ذلك إلى فقدهم لحب الآباء لهم. إن عدم الاستماع الآباء إلى الأبناء، وعدم الحديث معهم، وعدم الاهتمام بانشغالاتهم، ومتابعة دروسهم يؤدي إلى فشلهم وضعف ثقتهم في أنفسهم، ومن مظاهر ذلك مثلا:

. عدم الاستماع لأسئلتهم، أو الاهتمام بشؤونهم. أو السخرية من كلامهم وأسئلتهم، أو فرض الرأي عليهم.

. عدم إعطاء الأبناء الدعم المعنوي من خلال ابتسامة أو مزاح أو لعب، أو بنظرة العين له... فالنبرة الحادة أو الجافة أو الصوت العالي أو الإجابة بسرعة وبدون اهتمام كل ذلك له أثر كبير على الأبناء.[20]

2 . مبالغة الأب في ممارسة سلطته وقوامته داخل البيت:

فقد يبالغ الأب في ممارسة سلطته على أفراد الأسرة، بمعاملته القاسية لهم، أو بشدة مراقبتهم لهم، أو بتقييد حريتهم، فيؤثر ذلك سلبا على أفراد الأسرة وبخاصة الأبناء، فيتحول بيتهم إلى جحيم، فيفقدون الراحة والطمأنينة، فيحاولون التخلص من معاناتهم تلك بتناول المخدرات لنسيان ذلك الواقع المرير، أو بالهروب نهائيا من البيت.

عوامل الوقاية من التصدع الأسري:

لابد من الإشارة إلى أن الأسرة تعد خط الدفاع الأول للوقاية من المخدرات، لذا علينا تقويتها والسعي إلى دراسة أسباب التصدع الأسري، وحماية من يتعرضون لمشكلات تهدد بالتصدع الأسري، وذلك يتوقف على عدة عوامل:

1 . تقوية دور المؤسسات الاجتماعية: وهي من العوامل المهمة التي تساعد على الوقاية من مشكلات التصدع الأسري وما يترتب عليه من نتائج وخيمة التي تحتضن هؤلاء الذين عانوا من التصدع الأسري سواء بالإيواء الكامل أو الإرشاد النفسي والاجتماعي، وحثهم للقيام بمسؤولياتهم تجاه المجتمع الذي يعيشون فيه، مع التأكيد على أن تسعى هذه المؤسسات إلى أن تغرس فيهم أنهم أفراد أسوياء قادرين على التفاعل مع مشكلاتهم وتجاوزها لتحقيق أهدافهم السامية لأنفسهم ومجتمعهم.

[20] – عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج:2، ص : 970.

ولابد أن تسعى هذه المؤسسات أيضاً إلى توجيه هؤلاء الصغار نحو السلوكيات الحسنة، والسعي لاكتشاف الاستعداد للانحراف لدى هؤلاء مبكراً والتعامل معه على أنه مشكلة يجب علاجها بأساليب تربوية واجتماعية بعيداً عن القسوة واتخاذ سياسة العزل عن المجتمع الذي يعيشون فيه، وذلك بدمجهم في النشاطات الجماعية التي تتمثل في المدرسة أو المجتمع المحيط بهم، لاكتشاف مهاراتهم والتعرف على قدراتهم واكتشاف مواهبهم ، ليمكن من خلال هذه الأنشطة الجماعية صقلها وتشجيعهم على الاهتمام بها مما يساعد على انشغالهم المفيد في مجتمعهم، يضاف إلى ذلك السعي لتعويد هذه الفئة على نمط أسلوب في حياتهم اليومية مماثل لما تعودوا عليه أثناء وجود الأسرة، وذلك لإشعارهم بأن الوضع لم يتغير وأن الحياة ستكون طبيعية ما داموا هم حريصون على ذلك.

أيضاً لابد من الإشارة إلى ناحية مهمة في هذا الجانب وهي تقوية ثقة هؤلاء بنفسهم وتشجيعهم والتأكيد على أن كثيراً من المبدعين والمتفوقين تاريخيا عانوا من فقد أحد الأبوين في مرحلة من مراحل حياتهم.

2 . تفعيل قنوات الاتصال بين أفراد الأسرة: إن أهم ركن من أركان الوقاية من المخدرات هو وجود قنوات الاتصال بين أفراد الأسرة، وبخاصة بين الوالدين والأبناء، وذلك من خلال حديث الأهل في كل مشاكلهم حتى إذا كانت ممارستهم لحياتهم أثناء المراهقة طيبة.[21]

أ . الاستماع للأبناء: يحتاج الأبناء من الآباء للاستماع إليهم وإعطائهم الانتباه الكامل للاستماع لأفكارهم ومعتقداتهم ووجهات نظرهم.

إن حسن الاستماع إلى الأبناء يؤدي إلى تشجيعهم وازدياد ثقتهم في أنفسهم.

إن الاستماع إلى الأبناء والحديث معهم يعطي للأبناء فرصة التزود بالثقافة والمعلومات واستشارة الآخرين – كما أن الاستماع للأبناء سوف يساعدهم على التخلص من الخجل والقدرة على التفكير وتعلم الاحترام المتبادل وهي عناصر هامة في بناء ثقتهم في أنفسهم.

إن العلاقة الجيدة بين الآباء والأبناء هي السهل الممتنع الذي يحتاج لبذل الجهد من الآباء.

إن الاستماع الجيد للأبناء هو علامة اهتمام وهو بداية هامة للتواصل وبقبول الأبناء ما يلقي عليهم من أوامر.

[21] – محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، ، ص:169.

ب ـ الحوار المتبادل بين أفراد الأسرة لتدعيم الترابط الأسري، والقضاء على العزلة والفراغ.

ج ـ الخروج الجماعي للنزهة والتسوق واقتناء الحاجات. فمن الضروري قضاء بعض الوقت مع الأبناء وشريك العمر في جو أسري يغلب عليه الحب والتفاهم والضحك واللعب معهم وتداول الحديث في مواضيع تحوز على اهتمامهم.[22]

3 ـ دور وسائل الإعلام المختلفة: عن طريق البرامج المتنوعة التي تنشر الوعي، وتبين مخاطر المخدرات.

دور الأسرة في مكافحة المخدرات والوقاية منها:

إن حماية الشباب من خلال تقوية دفاعاتهم النفسية ودعم قيمهم بجعل فرصة إقدامهم على تعاطي المخدرات أو تجربتها فرصة ضئيلة أو مستحيلة أو شاقة وكما يقال الوقاية خير من العلاج ،ودرهم وقاية خير من قنطار علاج، والكثير من الآباء قد شرع فعلا في غرس بذور الوقاية من المخدرات بدافع غريزي، إن ذلك يحدث من خلال اهتمام هؤلاء الآباء بالاستماع إلى مشاكل أبنائهم والاهتمام بإعداد حلول لها وأن يكونوا على مقربة منهم مع ملاحظة مستمرة بحب وعطف وأن يكونوا قدوة لهم، إن ذلك كله يساعد النشء في بناء الدفاعات النفسية السليمة التي تقف في وجه محاولات تجربة أو تعاطي المخدرات.

على الأسرة أن تلعب دورا مباشرا في الوقاية من المخدرات23 تتمثل في بناء مقاومة داخلية في نفس الأطفال تجعلهم ينفرون من المخدرات من تلقاء أنفسهم، وإذا ما وثق هؤلاء النشء في أنفسهم فإنهم – إن شاء الله –سوف يكونون بعيدين عن احتمال تعرضهم لخطر الإدمان، ويحرصون بأنفسهم على سلامة حياتهم الصحية. لذلك فإن تعليم الأبناء الاعتماد على أنفسهم والثقة في قراراتهم المبنية على حسن التقدير وعدم الانحراف خلف قرارات الآخرين هو العامل الأساسي الذي سوف يجعلهم يرفضون تعاطي المخدرات حتى لو تعاطاها كل أصدقائهم. ويمكن للآباء اتخاذ الخطوات الآتية:

1 ـ القدوة الحسنة للأبناء، فلا يكفي حماية الأبناء من المخدرات إذا لم يقترن ذلك بالقدوة الحسنة من قبل الآباء والأمهات. وفاقد الشيء لا يعطيه.

---

22 – عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج:2، ص:970.

23 – خالد عبد الرحمن العك، بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص:38 وما بعدها.

2 - المحافظة على تماسك الأسرة، والتعاطف مع الشريك العمر، والابتعاد عن الخلافات الأسرية التي تنفر أفراد الأسرة بعضهم من بعض.

3- حسن تأديب الأبناء وغرس هذه القيم النبيلة فيهم، لأن ذلك يعطيهم مناعة طيبه.

وتبليغهم حرمة تجربة وتعاطي المخدرات وأثرها على النفس والمجتمع، وتعليمهم الحقائق والمخاطر الناجمة عن استعمال الخمور والمخدرات، وتذكيرهم بكل ما جاء من آيات عن الخلق السليم والحفاظ على النفس " **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**"[24] ، فإن الامتناع عن تعاطي المخدرات يأتي كسلوك ديني عام يهدف إلى منع حدوث الانحرافات السلوكية عامة.

4- تعليمهم المبادئ الأساسية للصحة العامة وطرق حماية أنفسهم وأهمية ذلك للحياة الصحية السليمة.

5 . توجيه الطفل إلى الاهتمام بأنشطة: إننا نحتاج إلى تشجيع أبنائنا على أنشطة أخرى مثل الهوايات والرياضة، إن ذلك يساعد على وقايتهم من الإدمان ويساعدهم في الأيام الأولى على التوقف، وإذا لم يكن لابنك هواية ورياضة فأعطه الوقت والمحاولة للبحث عن شيء يميل إليه يجعله ينشغل عن التفكير في المخدرات ويجعله أكثر بعدا عنها.[25]

إنهم يحتاجون لنشاط جماعي مع الأسرة من زيارات للأهل ورحلات مع الأسرة والذهاب للمساجد وأماكن العبادة وأن يكون أهم شيء عندك هو قضاء وقت كاف معهم.

إننا نحتاج إلى نشاط وقائي مشترك بين الأسرة والهياكل الاجتماعية المحيطة مثل النوادي والجمعيات الخيرية والنشاط الذي يهتم بالكشف عن أماكن التعاطي، وأن نبذل جهدا لجعل الاتجار بالمخدرات حول مسكنك ليس سهلا بل ومحفوفا بالخطر حتى يبتعد مروجو المخدرات عن أسرتك.

6 . على الوالدين أن يكونوا صبورين مع الأبناء، وأن يحسنوا الاستماع إليهم والرد على أسئلتهم. مع متابعة نشاطهم الدراسي والتدخل في الوقت المناسب دون تجريح أو إهانة أو قسوة.

7 . عدم ترك أحد الأبناء فريسة للضياع بأي حال من الأحوال حتى وان اكتشف تعاطيه للمخدرات، لأنه قد يتناول الأبناء باعتقاد خاطئا بأن المخدرات، ومن ضمنها الكحول

---

[24] – سورة البقرة، الآية: 195.

[25] – محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، ، ص:188.

طبعاً، تجعلهم ناضجين ويتسمون بالرجولة، وهنا لابد للوالدين من توضيح هذه المفاهيم الخاطئة بأسلوب علمي مقنع وبهدوء.

8 . توضيح مخاطر المخدرات الأبناء في سن المراهقة: وسن المراهقة هو السن الذي يبدأ فيه التحولات الجسمانية والنفسية في الظهور على الولد أو البنت نتيجة لزيادة إفراز هرمونات الذكورة أو الأنوثة ويبدأ التحول التدريجي من علامات الطفولة إلى علامات النضوج (الرجولة أو الأنوثة) وهى ما تسمى علامات البلوغ.

وفي هذه السن يجب التقرب من الأبناء وتفهم مشاعرهم[26]، فالتحولات في حياتهم والاستماع لهم والابتعاد بقدر الإمكان عن النقد الجارح أو الإهانة أو السخرية فالمراهق حساس جدا لكل ذلك وقد يبتعد عمن ينتقده باستمرار حتى وان كان أحد والديه كليهما.[27]

10 . إعطاء الأبناء الفرصة ليعبروا عن آرائهم: وإظهار المحبة والاحترام لما يقولونه ومعاملتهم كأفراد ناضجين، وعدم احتقارهم حتى يشعروا بأهميتهم ونضوجهم.

وجوب التربية والتعليم في مرحلة ما قبل سن الرشد:

ولأن الطريق أثناء المراهقة محفوف بالمخاطر فان الوقاية هامة قبل وصول الأبناء إلى سن العشرينات، فالنشء قبل بداية الحادية عشرة يستطيعون فهم مشاكل المراهقة ولكنهم يكونون أكثر قابلية للتوجيه من الأسرة ومن هم أكبر منهم28.

إن الآباء يحتاجون إلى الصراحة للحديث عن أخطار المخدرات مع أولادهم، وتعليمهم كيفية مواجهة ضغوط الأصدقاء الذين يحاولون دفعهم للتعاطي لحمايتهم من هذه الأخطار مبكرا. فإذا تحقق ذلك احتمى الإنسان بحصن الأمان ضد مخاطر المخدرات.

وتبقى للفرد حاجته الماسة للمساندة المعرفية والنفسية والاجتماعية من خلال النظم التي يستظل بها والمؤسسات الاجتماعية التي تقدم له خدماتها ابتداء من الأسرة إلى المدرسة إلى المسجد إلى الورشة أو المصنع أو المنتدى الرياضي أو الثقافي أو الترفيهي.

---

[26] – عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج:1، ص:133.

[27] – محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، ، ص: 74.

[28] – جاء في الحديث الشريف:" مروا أولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع". وجاء في الأثر:" (لاعب أبناءك سبعا وعلمهم سبعا وصاحبهم سبعا ثم اترك الحبل على الغارب)،

وكل من هذه المواقع هي الموئل الطبيعي الاجتماعي للإنسان حيث يفترض أن يكون الوسط الصحي لتلبية حاجاته البشرية والاجتماعية المشروعة، إلا أنه من جهة أخرى قد تكون –ماعدا مكان العبادة– موطنا لممارسة أنماط منحرفة من السلوك ومنها تعاطي المخدرات، والتدخين، وما إلى ذلك، وبذلك فإن الوقاية تبدأ من هذه المواقع. وفي حالة إصابتها بالخلل يكون لزاما التدخل للمحافظة على سلامتها لأنها محاضن أساسية للتنشئة الاجتماعية، والتكوين المعرفي والثقافي.

أهمية البعد الأخلاقي والديني:

إن مشكلة المخدرات بأبعادها المتعددة التي تناولناها مشكلة في غاية التعقيد بوضعها الراهن على مستوى العالم، وعلى مستوى كل دولة، وتتشابك فيها العوامل المكونة لها، اقتصادية مادية اجتماعية، نفسية، بيئية، أخلاقية دينية.. ولكل عامل من هذه العوامل وزنه الخاص، ويختلف من مجتمع لآخر ومن فئة وطبقة اجتماعية إلى أخرى. إنما العامل الرئيسي المشترك الذي يربط بين العوامل المتعددة هو البعد الثقافي الديني والأخلاقي، فهو الذي يضمن حصانة الإنسان المعرفية والنفسية التي تحبذ رفض فكرة التعاطي ونبذها وإبعادها عن المخاطر، فبالرغم من صعوبة المشكلة بتعدد عواملها وتفاعلها إلا أن أكثر الطرق يسرا لحل المشكلة هو توظيف البعد الديني والأخلاقي انطلاقا من تعاليم الدين التي تحرم سوء استعمال الخمور والمخدرات، إلى الممارسات الدينية في أماكن العبادة التي تزيد مناعة الإنسان ضد مساوئ وأضرار المخدرات. وقد غاب في كثير من الأحوال عن الباحثين والدارسين هذا البعد الديني والأخلاقي في تحديد ملامح استراتيجية الوقاية والعلاج. ويلاحظ ذلك في توصيات المؤتمرات والملتقيات الدولية والمحلية، وفي معظم الدراسات التي تقدم بشأن المخدرات، مع أن البعد الديني الأخلاقي أهم عامل للواقية من التورط في الانحراف وتعاطي المخدرات بوجه خاص.

لكن الاهتمام بالبعد الديني الأخلاقي يجب ألا يؤخذ بمعزل عن عناصر التنمية المتكاملة الأخرى، لأنه بمفرده يكون غير كاف، فلا بد من تظافر مختلف المقومات المعرفية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية. فإذا كان الإنسان هو المستهدف من آفة المخدرات، فإنه يمكن بتفعيل كل العوامل الدينية والخلقية والاجتماعية والثقافية والتربوية من احتواء المشكلة والتقليل من أضرارها بقدر الإمكان لأن الوقاية بالإنسان وللإنسان.